حسن المحاضرة

في تاريخ مصر والقاهرة

للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي

بتحقيق

محمد أبو الفضل إبراهيم

الجزء الأول

دار إحياء الكتب العربية
عيسى البابي الحلبي وشركاه

الطبعة الأولى
(١٩٦٧ م ـ ١٣٨٧ هـ)
جميع الحقوق محفوظة

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

يعتبر دخول العرب مصر سنة ٢٠ من الهجرة على يد الصحابيّ الجليل عمرو بن العاص مولد تاريخ جديد لهذه البلاد، ذات الماضى البعيد ؛ فلم يكد يتمّ الفتح، وتستقرّ الأحوال بها بعد الوقائع الحربية المعروفة ، حتى أخذ سكّانها يدخلون فى دين الله أفواجا ؛ وتنشرح صدورهم للقرآن الكريم ، وتصطنع ألسنتهم اللسان العربىّ المُبين ؛ وتُصبح العربيّة لغة الدّواوين . ثم يرحلُ إليها أعيانُ الصحابة وجِلّة التابعين ، ويهوِى نحوها الفُقهاء والقراء وحفاظ الحديث ورُواة اللغة والأدب والشعر ؛ وتُبنى فيها المساجد ؛ لإقامة شعائر العبادات، ومدارسة علوم الدين ، وللفصل فى ساحتها بين الناس ؛ كما أنشئت فيها المدارس لتلقّى العلوم والمعارف ، وألحقت بها خزائن الكتب ، لجذب العلماء من شتى الجهات ؛ مما ارتفع به شأنُ العلم ، وَازدهرت الفنون والآداب .

وتولّى مقاليدَ الحكم فيها على مرّ العصور من الولاة والخلفاء والملوك والسلاطين ؛ مَنْ فتحوا أبوابَهم للعافين والوَافدين ، واستمعوا إلى الشّعراء والمادحين ، وأجازوا على التأليف والتصنيف ، وقاموا فى بناء الحضارة الإسلامية بأوْفَى نصيب .

بل إن مصر كانت ـ وما زالتْ ـ حاميةَ المِلّة والدين ، وراعيةَ الإسلام والمسلمين ، وقاهرة الغزاة والمعتدين ؛ مما جَعلها أعزّ مكان فى الوطن العربىّ الكبير .

فكان من حقّ هذا الإقليم أن يشغلَ مكانه فى التاريخ ، وأن يُخَصّ بعناية العلماء والمؤرخين ؛ وأن تُفرَد لوصف ملامحه المؤلّفات ، وأن يُتدارس تاريخه فى كل مكان

وزمان . . . وكذلك الأمر والحمد لله كان ؛ فقد نبغ من العلماء القُدامى والمحدثين مَنْ وَضعوا فى تاريخ مصر المصنفات تختلف طولا وقِصرا ، وتتباين طَريقة ومنهاجا ؛ منهم ابن عبد الحكم وأبو عمر الكندىّ وابن ميسر والمسبّحى والقضاعىّ وابن دقماق وابن رُولاق والأدفوى والعماد الأصبهانى وابن حَجر والمقريزىّ والسيوطىّ والجبرتى وأبو السرور البَكْرىّ وابن تَغْرى بردى وابن إياس .

***

وكتاب حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة ، الذى صنفه الجلال السيوطىّ من أنفس الكتب التى صدرت عن هؤلاء الأعلام ، وأعذبها مَوْردًا ، وأصفاها منهلاً ، وأسَدِّها منهجا ، وأوضحِها فُصولا وأبواباً ، وأوفاها استيعاباً وشمولا ، سلكَ فيه طريقا قَصْدًا ، ليس بالطويل المستطرد المشوّش ؛ ولا بالمقتضَب الخالى من النفع والجدْوَى ، بدأه بذكر ماوَرَد فى شأن مصر من الآثار فى القرآن الكريم والحديث الشريف ، ثم ثناه بذكر تاريخ مصر فى عهدها القديم ؛ عهد الفراعنة وبُناة الأهرام ، على حسب ماوقع لديه من المعارف ، وعلى حسب ما كان شائعا فى عصره ، ثم وصفَ الفتح الإسلامىّ وماصاحبه من وقائع وأحدَاث ، وماتمّ من امتزاج المصريين بالعرب تحت راية الإسلام ، ثم ذكر الوافدين على مصر ومَنْ نبغ فيها من أصحاب المذاهب ، ومَنْ عاش بها من الحفاظ والمؤرّخين والقُرّاء والقُصّاص والشعراء والمتطبِّبين وغيرهم ؛ مع ذكر نُبذٍ من حياتهم وتاريخ مواليدهم ووفياتهم . ولم يخلُ كتابه من تاريخ الولاة الذين تعاقبوُا عليها ، والقضاة الذين حَكَمُوا فيها ، والحكومات التى قامت بها ، ومابُنى فيها من المساجد والمدارس والخانقاهات .

ومن أمتع ماورد فيه تلك الفصولُ التى عقدها فى ذكر عادات المصريين ومواسمهم وأعيادهم والأسباب الدّائرة بينهم ؛ وما كان فيها من أندية الأدب ومجالس الشعر والسمر ؛ على منهج طريف أخّاذ .

وكان سبيلُه فى كلِّ ماأوردَه من هذا الكتاب النقلُ عن الكتب المتخصّصة فى هذا الشأن ، مضافاً إليها ماوقع له من المُشاهدة ؛ أو مانقله سماعا عن علماء عصره ؛ من الشيوخ والأقران والتلاميذ .

وللسيوطىّ منهج معروف يذكره فى مقدمات بعض كتبه ـ وخاصة المطولة منها ـ أن يورد مصادره من الكتب التى اعتمد عليها وأسماء مؤلِّفيها ؛ فعل ذلك فى كتاب بغية الوعاة فى طبقات واللغويين والنحاة ، وكتاب الإتقان فى علوم القرآن ؛ وفعل ذلك أيضا فى هذا الكتاب ، قال: «وقد طالعت على هذا الكتاب كتباً شتّى ، منها فتوح مصر لابن عبد الحكم ، وفضائل مصر لأبى عمر الكندىّ ، وتاريخ مصر لابن زولاق ، والخطط للقُضاعىّ ، وتاريخ مصر لابن ميسر ، وإيقاظ المتغفّل وإيعاظ المتأمّل لتاج الدين محمد بن عبد الوهاب بن المتوّج الزُّبيرىّ والخطط للمقريزىّ ، والمسالك لابن فضل الله العمرىّ ، ومختصره للشيخ تقىّ الدين الكرمانىّ ، ومسالك الأبصار لابن فضل الله ، ومختصره للشيخ تقىّ الدّين الكرمانىّ ومباهج الفكر ومناهج العبر لمحمد بن عبد الله الأنصارىّ ، وعنوان السِّير لمحمد بن عبد الله الهمذانىّ ، وتاريخ الصحابة الذين نزلوا مصر لمحمد بن الربيع الجيزىّ ، والتجريد فى الصحابة للذهبىّ ، والإصابة فى معرفة الصحابة لابن حجر ، ورجال الكتب العشرة للحُسينىّ ، وطبقات الحفّاظ للذهبى ، وطبقات القراء له ، وطبقات الشّافعية للسّبكى ، وللإسنوىّ ، وطبقات المالكية لابن فَرْحون ، وطبقات الحنفيّة لابن دُقماق ، ومرآة الزّمان لسبط ابن الجوزىّ وتاريخ الإسلام للذّهبى ، والعِبَر له ، والبداية والنهاية لابن كثير ، وإنباء الغمر بأبْناء العُمر لابن حَجَر ، والطّالع السعيد فى أخبار الصعيد للأدفوىّ ، وسَجْع الهديل فى أخبار النيل لأحمد بن يوسف التّيفاشىّ والسكردان لابن أبى حَجلة ، وثمار الأوراق لابن حجة » . هذا غير ماذكره فى تضاعيف الكتاب من المراجع الأخرى .

***

وقد طبع هذا الكتاب عدّة طبعات ؛ يَشيع فى معظمها التصحيف والتحريف والخطأ ؛

طبع طبع حجر بمصر سنة ١٨٦٠ م ، وطبع فى مطبعة الوطن ، سنة ١٢٩٩ هـ، وطبع بمطبعة الموسوعات سنة ١٣٢٤ هـ ، وطبع بمطبعة السعادة سنة ١٣٢٤ هـ ، وطبع بالمطبعة الشرقية سنة ١٣٢٧ هـ ، وطبع منه جزء صغير مع ترجمة لاتينية سنة ١٨٣٤ م ، كما أودع دور الكتب فى العالم شرقا وغربا كثيرٌ من نسخه المخطوطة .

وحينما شرعت فى تحقيق هذا الكتاب رجعت إلى نسخة مخطوطة بالمكتبة التيمورية بدار الكتب برقم ٢٣٩٤ تاريخ - تيمور تمت كتابتها فى رجب سنة ٩٧٧ هـ، تقع فى ٤٦٥ صفحة، فى كل صفحة ٣٥ سطرا تقريبا ، فى كل سطر حوالى ٢٠ كلمة ؛ كتبت بخط معتاد يجنح إلى الصحة والإتقان والضبط القليل ، ووضعت العنوانات بخط أغلظ ، وفى حواشيها مايشير إلى قراءتها ومقابلتها . وقد اتخذت هذه النسخة أصلا فى التحقيق .

كما أنى تخيّرت مما طبع نسختين قريبتين من الصحة : النسخة المطبوعة فى مطبعة الوطن ورمزت إليها بالحرف (ط) ، والنسخة المطبوعة بمصر على الحجر، وقد رمزت إليها بالحرف (ح) .

ثم رجعت إلى ماتيسر لى الحصول عليه من المصادر التى ذكرها، وما اقتضاه الأمر من الرجوع إلى الكتب الأخرى فى التفسير والحديث والأدب ودواوين الشعر ومعاجم اللغة.

هذا ، وقد جعلت من منهجى فى هذا الكتاب ألا أسرف فى التعليق، أو استطرد فى الشرح والتفسير ؛ إلا بالقدْر الذى يُعين على فهم النصّ وبه تستقيم العبارات ، محاولا أن يبدو الكتاب فى أقرب صورة من نسخة المؤلف ؛ وأن أقوم فى آخر الكتاب بعمل الفهارس المتنوعة التى تقرب نفعه ، وتُدْنِى جَناه .

وتصدر هذه الطبعة فى جزأين ينتهى الأول منهما بذكر أخبار الخلفاء الفاطميين أو كما سماهم المؤلف : « أمراء مصر من بنى عبيد » . ويبدأ الجزء الثانى بذكر أمراء مصر من حين ملكها بنو أيّوب ، وينتهى بالفصل الذى عقده فى حبوب مصر وخضراواتها وبقولها .

* * *

وأما الجلال السيوطى المؤلف، فقد عقد لنفسه فصلا فى هذا الكتاب[1] تحدّث فيه عن

(١) حسن المحاضرة ١ : ٣٣٥ - ٣٤٤ (طبعة الحلبى)

نسبه وأجداده ، وذكر أن مولده كان : « بعد المغرب مستهلّ رجب سنة تسع وأربعين وثمانمائة »، كما ذكر الكتب التي درسها، والشيوخ الذين تلقى عنهم ، والبلاد التي رحل إليها، والعلوم التي حذقها، والكتب التي ألفها ؛ مما يعدّ وثيقة تاريخية في حياة هذا العالم الجليل .

وقد ظلّ السيوطي طوال حياته مشغوفاً بالدرس مشتغلا بالعلم، يتلقاه عن شيوخه أو يبذله لتلاميذه ، أو يذيعه فتيا ، أو يحرّره في الكتب والأسفار ؛ وحينما تقدم به العُمْر ، وأحسّ من نفسه الضعف ، خلا بنفسه في منزله بروضة المقياس ، واعتزل الناس ، وتجرّد للعبادة والتصنيف ، وألّف كتابه : « التنفيس في الاعتذار عن الفتيا والتدريس » .

وكان رحمه الله في حياته الخاصة على أحسن ما يكون عليه العلماء ورجال الفضل والدين ، عفيفاً كريماً ، غنيّ النفس ، متباعداً عن ذوي الجاه والسلطان ، لا يقف بباب أمير أو وزير ؛ قانعاً برزقه من حانقاه شيخو ، لا يطمع فيما سواه . وكان الأمراء والوزراء يأتون لزيارته ويعرضون عليه أعطياتهم فيردّها . وروى أن السلطان الغوري أرسل إليه مرة خصيًّا وألف دينار ، فردّ الدنانير ، وأخذ الخصيّ ثمّ أعتقه ، وجعله حارساً في الحجرة النبوية، وقال لرسول السلطان : لا تَعُدْ تأتينا قطُّ بهدية ؛ فإنّ الله أغنانا عن ذلك .

وأما كتبه فقد أحصى السيوطي منها في كتابه نحواً من ثلاثمائة ؛ في التفسير وتعلّقاته والقراءات، والحديث وتعلّقاته والفقه وتعلقاته، وفنّ العربية وتعلّقاته، وفنّ الأصول والبيان والتصوّف، وفنّ التاريخ والأدب والأجزاء المفردة، ما بين كبير في مجلّد أو مجلدات، وصغير في كراريس أو أوراق . وذكر تلميذه الداودي المالكيّ أنها أنافت على خمسمائة مؤلف. وقال ابن إياس في تاريخه (حوادث ٩١١) : إنها بلغت ستمائة مؤلف .

وتقع هذه الكتب في مجلّد أو مجلّدات ؛ كالمزهر والإتقان والأشباه والنظائر وبغية الوعاة والدرّ المنثور في التفسير بالمأثور والجامع الصغير والجامع الكبير وأمثالها ، أو في أوراق أو صفحات ؛ كهذه الرسائل التي طُبعت باسم الحاوي في الفتاوى ؛ في مجلّد يحوي ثمانية وسبعين كتاباً في مُعظم الفنون . وقد تدارس العلماء هذه الكتب في كلّ مكان ،

وانتشرت فى حياة السيوطىّ وبعده ، وعمرتْ بها المدارس والمعاهد ودُور الكتب ، وكاتبه المستفتُون من شتّى الجهات ؛ مما أثار عليه فريقاً من أقرانه ومعاصِريه من العلماء ، وتحاملوا عليه ، ورَمَوه بما هو منه بَراء ؛ وكان من أشدّ الناس خصومةً عليه ، وأكثرهم تجريحاً وتشهيرا ، المؤرّخ شمس الدين السخاوىّ ، صاحب كتاب الضوء اللامع فى أعيان القرن التاسع ؛ فقد ترجم له فى هذا الكتاب ، ونال من علمه وخلقه ؛ مما يقع مثله بين النُظراء والأنْداد . وانتصر السيوطى لنفسه فى مقامة أسماها : الكاوى على تاريخ السخاوىّ ؛ كما انتصر له فريق من تلاميذه وفريق من العلماء ممنّ جاء بعده ؛ منهم الشوكانى صاحب البدر الطالع ؛ قال فى ترجمته للسيوطىّ بعد أن لخص مطاعن السخاوى فيه ، وردّ هذه المطاعن عنه : « وعَلَى كلّ حالٍ فهو غير مقبولٍ عليه لما عرفتَ من قولِ أئمّة الجرْح والتعديل ، بعدم قبول قولِ الأقران بعضهم فى بعض ؛ مع ظهور أدْنى منافسة ؛ فكيف لمثل هذه المنافسة بين هذين الرجلين التى أفضت إلى تأليف بعضهم فى بعض ! فإنّ أقلّ مِنْ هذا يوجب عدم القبول . والسخاوىّ رحمه الله وإن كان إماماً غير مدفوع ؛ لكنه كثير التحامل على أكابر أقرانه » .

وكانت وفاة السيوطىّ على ماذكره ابن إياس فى الخميس تاسع شهرى جمادى الأولى سنة ٩١١ هـ ، ودفن بجوار خانقاه قوصون [1] خارج باب القرافة ، بعد أن ملأ الدنيا علماً ، وشهرة وذكراً »[2] . رحمة الله عليه ؟

يناير سنة ١٩٦٧ م

محمد أبو الفضل إبراهيم

---

(١) وضع العلامة أحمد تيمور بحثا فى قبر السيوطى وتحقيق موضعه ، ونشر بالمكتبة السلفية بمصر سنة ١٣٤٦ هـ . وفى العام الماضى قمت مع صديق العلامة الأديب الشاعر المتفنن الأستاذ سيد إبراهيم الخطاط بزيارة قبر السيوطى ، فى ضوء ما حققه العلامة تيمور ؛ فوجدناه مقاما على مسجد ؛ يكاد لا يعرف بعد أن كانت — كما أخبرنا بعض من لقيناه هناك — الصلوات تقام فيه ؛ وتؤدى الشعائر . ولعل القائمين بأمر المساجد فى القاهرة يعنون بهذا المسجد وإعادة إحياء الشعائر فيه ، تقديرا لذكرى العالم الجليل .

(٢) انظر مقدمتنا لكل من كتابى بغية الوعاة فى أخبار النحاة و الإتقان فى علوم القرآن للمؤلف .

حسن المحاضرة

في تاريخ مصر والقاهرة

للحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا دائما أبداً

قال الشيخُ الإمام العالم العلّامة ، وحيدُ دهره ، وفريد عصره ، المحقّق جلال الدّين السيوطىّ ، تغمّده الله برحمته ، وأسكنه فسيح جنّته . آمين .

الحمدُ لله الّذى فاوت بين العباد ، وفضّل بعضَ خلقِه على بعض حتّى فى الأمكنة والبلاد ، والصّلاة والسلام على سيّدنا محمد أفصَحِ مَنْ نطق بالضّاد ، وعلى آله وصحبه السّادة الأمجاد .

هذا كتاب سمّيتُه : " حسن المحاضرة ، فى أخبار مصر والقاهرة " ، أوردت فيه فوائدَ سنيّة ، وغرائبَ مستعذبة مرضيّة ، تصلح لمسامرة الجليس ، وتكون الوَحدة نعم الأنيس ، وفّقنا الله لما يحبّه ويرضاه ، وجعلنا ممّن يُحْمَد قصدُه ولا يخيبُ مسعاه ؛ بمنّه وكرمه .

وقد طالعتُ على هذا الكتاب كتباً شتّى ؛ منها فتوح مصر لابن عبد الحكم ، وفضائل مصر لأبى عمر الكِنْدِىّ ، وتاريخ مصر لابن زُولاق ، والخطط للقُضاعىّ ، وتاريخ مصر لابن ميسّر[1] ، وإيقاظ المتغفّل وإيعاظ المتأمّل لتاج الدين محمد بن عبدالوهاب بن المتوّج الزُّبيرىّ ، والخطط للمقريزىّ ، والمسالك لابن فضل الله ، ومختصره للشيخ تقىّ الدين الكِرْمانىّ ، ومباهج الفكر ، ومناهج العبر لمحمد بن عبد الله الأنصارىّ ، وعُنوان السِّيَر لمحمد بن عبد الملك الهَمَذانىّ ، وتاريخ الصحابة الّذين نزلوا

---

(١) فى حاشيتى ح ، ط : « وفى نسخة : لابن يونس » .

مصر لمحمد بن الربيع الجيزى ، والتجريد فى الصحابة الذهبى ، والإصابة فى معرفة الصحابة لابن حجر ، ورجال الكتب العشرة للحسينى ، وطبقات الحفاظ للذهبى ، وطبقات القراء له ، وطبقات الشافعية للسبكى ، والإسنوى ، وطبقات المالكية لابن فرحون ، وطبقات الحنفية لابن دقماق ، ومرآة الزمان لسبط ابن الجوزى ، وتاريخ الإسلام للذهبى ، والعبر له ، والبداية والنهاية لابن كثير ، وإنباء الغمر بأنباء العمر لابن حجر ، والطالع السعيد فى أخبار الصعيد للأدفوى ، وسجع الهديل[1] فى أخبار النيل لأحمد بن يوسف التيفاشى ، والسكردان لابن أبى حجلة ، وثمار الأوراق لابن حجة .

(١) فى الأصل : «الهذيل» ، بالذال المعجمة ، وصوابه من ط .

ذكر المواضع التى وقع فيهـــا ذكر مصر

فى القرآن صريحاً أو كناية

قال ابن زُولاق [١] : ذُكِرت مصر فى القرآن فى ثمانية وعشرين موضعا .

قلت : بل أكثر من ثلاثين .

قال الله تعالى: ﴿اهْبِطُوا مِصْراً فَإِنَّ لَكُمْ مَاسَأَلْتُمْ﴾[٢] ، وقرئ : ﴿اهْبِطُوا مِصْرَ﴾ بلا تنوين ، فعلى هذا هى مصر المعروفة قطعا ، وعلى قراءة التنوين ، يُحمل ذلك على الصرف اعتباراً بالمكان ؛ كما هو المقرّر فى العربيّة فى جميع أسماء البلاد ، وأنّها تذكّر وتؤنث ، وتصرَف وتمنع . وقد أخرج ابن جرير فى تفسيره عن أبى العالية فى قوله : ﴿ اهْبِطُوا مِصْراً ﴾ قال : يعنى مِصْرَ فرعون .

وقال تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَـا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تبوّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا ﴾ [٣] .

وقال تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِى اشْتَرَاهُ مِن مِصْرَ لامْرَأَتِهِ أَكْرِمِى مَثْوَاهُ ﴾[٤] .

وقال تعالى حكاية عن يوسف عليه الصلاة والسلام : ﴿ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللهُ آمِنِينَ ﴾ [٥] .

---

(١) هو الحسن بن إبراهيم بن الحسين ، من ولد سليمان بن زولاق ، مؤرخ مصرى ؛ ومن كتبه : خطط مصر ، ومختصر تاريخ مصر . توفى سنة ٣٨٧ . ابن خلكان ١ : ١٣٤ .

(٢) سورة البقرة ٦١ (٣) سورة يونس ٨٧ .

(٤) سورة يوسف ٢١ (٥) سورة يوسف ٩٩ .

وقال تعالى حكاية عن فرعون : ﴿ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي ﴾(١) .

وقال تعالى : ﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ﴾(٢) .

وقال تعالى : ﴿ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا ﴾(٣) .

وقال تعالى : ﴿ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ﴾(٤) .

وقال تعالى : ﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى ﴾(٥) ، أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره عن السُّدِّيّ أنّ المدينة في هذه الآية منف ، وكان فرعون بها .

وقال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾(٦) . أخرج ابن أبي حاتم ، عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في الآية ، قال : هي مصر ، قال : وليس الرُّبا إلا بمصر ، والماء حين يرسل ، تكون الرُّبا عليها القرى ، [و] لولا الرُّبا لغرقت القرى . وأخرج ابنُ المنذر في تفسيره ، عن وهب بن منبّه ، في قوله : ﴿ إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾ ، قال : مصر . وأخرجُ ابنُ عساكر في تاريخ دمشق ، من طريق جويبر ، عن الضحاك ، عن ابن عبّاس ، أنّ عيسى كان يرى العجائب في صِباه إلهاماً من الله ، ففشا ذلك في اليهود ، وترعرع عيسى ، فهمّت به بنو إسرائيل ، فخافت أمُّه عليه ، فأوحى الله إليها أن تنطلق به إلى أرض مصر ؛ فذلك قوله تعالى : ﴿ وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ﴾ ؛ قال : يعني مصر . وأخرج ابن عساكر ، عن زيد بن أسلم في قوله : ﴿ وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذات قرارٍ وَمَعِينٍ ﴾ ، قال : هي الإسكندرية .

---

(١) سورة الزخرف ٥١
(٢) سورة يوسف ٣٠
(٣) سورة القصص ١٥
(٤) سورة القصص ١٨
(٥) سورة القصص ٢٠ .
(٦) سورة المؤمنين ٥٠

وقال تعالى حكاية عن يوسف عليه الصلاة والسلام : ﴿ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ ﴾[١] ، أخرج ابنُ جرير ، عن ابن زيد فى الآية ، قال : كان لفرعون خزائن كثيرة بأرْض مصر ، فأسلمها سلطانه إليه .

وقال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى الْأَرْضِ ﴾[٢] ، أخرج ابنُ جرير ، عن السُّدّىّ فى الآية قال : استعمله الملِك على مصر ، وكان صاحبَ أمرها .

وقال تعالى فى أوّلِ السُّورَة : ﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ﴾[٣] .

وقال تعالى : ﴿ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي ﴾[٤] ، قال ابن جرير : أى لن أفارقَ الأرْضَ الّتى أنا بها ـ وهى مصر ـ حتى يأذَن لى أبى بالخروج منها .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ ﴾[٥] .

وقال تعالى : ﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِى الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى الأرْضِ ﴾[٦] .

وقال تعالى : ﴿ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّاراً فِى الْأَرْضِ ﴾[٧] .

وقال تعالى : ﴿ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِى الْأَرْضِ ﴾[٨] .

وقال تعالى : ﴿ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِى الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴾[٩] .

وقال تعالى : ﴿ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِى الأرض . . . ﴾[١٠] ، إلى قوله :

---

(١) سورة يوسف ٥٥
(٢) سورة يوسف ٥٦
(٣) سورة يوسف ٢١ .
(٤) سورة يوسف ٨٠
(٥) سورة القصص ٤
(٦) سورة القصص ٥ ، ٦
(٧) سورة القصص ١٩
(٨) سورة غافر ٢٩
(٩) سورة غافر ٢٦
(١٠) سورة الأعراف ١٢٧

﴿ إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ... ﴾[١] ، إلى قوله : ﴿ قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾[٢] .

المراد بالأرض فى هذه الآيات كلّها مصر .

وعن ابن عباس ـ وقد ذكر مصر ـ ، فقال : سُمّيت مصر بالأرض كلّها فى عشرة مواضع من القرآن .

قلت : بل فى اثنى عشر موضعا أو أكثر .

وقال تعالى : ﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ﴾[٣] ؛ قال اللّيثُ بن سعد : هى مصر ؛ بارك فيها بالنّيل . حكاه أبو حيّان فى تفسيره .

وقال القُرطبىّ فى هذه الآية : الظّاهر أنهم ورِثوا أرض القِبْط . وقيل : هى أرض الشام ومصر ؛ قاله ابنُ إسحاق وقَتادة وغيرهما .

وقال تعالى فى سورتى الأعراف والشعراء : ﴿ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ ﴾[٤] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا ﴾[٥] .

وقال تعالى : ﴿ فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ، وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴾[٦] .

وقال تعالى تعالى : ﴿ كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴾[٧] ؛ قال الكندىّ : لا يُعلَم بلد فى أقطار الأرض أثنى الله عليه فى القرآن بمثل هذا الثناء ، ولا وصَفَه بمثل هذا الوصف ، ولا شهد له بالكرم غير مصر .

---

(١) سورة الأعراف ١٢٨
(٢) سوره الأعراف ١٢٩
(٣) سورة الأعراف ١٣٧
(٤) سورة الأعراف ١١٠ ، والشعراء ٣٥
(٥) سورة الأعراف ١٢٣
(٦) سورة الشعراء ٥٧ ، ٥٨
(٧) سوره الدخان ٢٥ ، ٢٦

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ ﴾[١] ، أورده ابن زولاق . وقال القرطبيّ فى تفسيره : أى منزل صدق محمود مختار ـ يعنى مصر . وقال الضّحّاك : هى مصر والشام .

وقال تعالى : ﴿ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ ﴾[٢] ، أورده ابن زولاق وقال : الرُّبا لا تكون إلا بمصر .

وقال تعالى : ﴿ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللهُ لَكُمْ ﴾[٣] ، أورده ابن زُولاق أيضا ، وحكاه أبو حيّان فى تفسيره قولاً إنها مصر ، وضَعَّفَهُ .

وقال تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ ﴾[٤] . قال قوم : هى مصر ، وقوّاه ابن كثير فى تفسيره .

وقال تعالى : ﴿ وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا ﴾[٥] ، قال عِكْرِمَة : مِنها القراطيس التى بمصر .

وقال تعالى : ﴿ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ * الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴾[٦] قال محمد ابن كعب القُرظىّ : هى الإسكندرية :

* * *

---

(١) سورة يونس ٩٣
(٢) سورة البقرة ٢٦٥
(٣) سورة المائدة ٢١
(٤) سورة السجدة ٢٧
(٥) سوره فصلت ١٠
(٦) سورة الفجر ٧ ، ٨

لطيفـــــة

قال الـكندى[١] : قال الله تعالى حـكايةً عن يوسف عليه الصلاة والسلام : ﴿ وَقَدْ أَحْسَنَ بِى إِذْ أَخْرَجَنى من السِّجْنِ وَجاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ ﴾[٢] ، فجعل الشام بَدْواً ؛ وسمّى مصرَ مِصْراً ومدينةً .

* * *

فائـــــدة

اشتهر على ألسنة كثير من الناس فى قوله تعالى : ﴿ سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴾[٣] ، إنها مصر ؛ وقد نصّ ابنُ الصلاح وغيره على أنّ ذلك غلط نشأ من تصحيف ؛ وإنما الوارد عن مجاهد وغيره من مفسرى السَّلف : ﴿ سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴾ ، قال : مصيرهم ؛ فصُحِّفَ بمصر .

---

(١) هو محمد بن يوسف بن يعقوب أبو عمر الـكندى ، المؤرخ المصرى ؛ وهو غير الـكندى الفيلسوف. صاحب كتاب قضاة مصر ؛ وكتابه فضائل مصر ، صنفه لـكافور الإخشيدى . توفى بعـد سنة ٣٥٥ الأعلام ٨ : ٢١

(٢) سورة يوسف ١٠٠ (٣) سورة الأعراف ١٤٥

ذكر الآثار التى ورد فيها ذكر مصر

قال أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم[١] فى فتوح مصر : حدّثنا أشهب بن عبد العزيز وعبد الملك بن مسلمة ، قالا[٢] : حدّثنا مالك بن أنس ، عن ابن شهاب ، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك ، عن أبيه : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إذا افتتحتم مصر فاستَوْصُوا بالقِبْط خيراً ؛ فإنّ لَهُمْ ذِمّةً ورحماً » . قال ابن شهاب : وكان يقال : إنّ أمّ اسماعيل عليه الصلاة والسلام منهم[٣] . وأخرجه أيضاً الليث ، عن ابن شهاب ، وفى آخره : قال الليث : قلتُ لابن شهاب : ما رِحمُهم ؟ قال : إنّ أمّ إسماعيل منهم . وأخرجه أيضا من طريق ابن عُيَيْنة وابن إسحاق عن ابن شهاب . وهذا حديث صحيح ، أخرجه الطَّبَرانىّ فى معجمه الكبير ، والبيهقىّ وأبو نُعيم ، كلاهما فى دلائل النبوّة .

وأخرج مسلم فى صحيحه ، عن أبى ذرّ ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ستفتحون مصر ، وهى أرضٌ يسمّى فيها القِيراط ؛ فاستوصوا بأهلها خيرا ؛ فإن لهم ذمّة ورِحما » .

وأخرج مسلم ، وابن عبد الحكم فى الفتوح ، ومحمد بن الربيع الجِيزىّ فى كتاب : مَنْ دخل مصر من الصحابة ، والبيهقىّ فى دلائل النبوّة ، عن أبى ذرّ ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنّكم ستفتحُون أرضاً يُذكرُ فيها القِيراط ،

---

(١) هو عبد الرحمن بن عبدالله بن عبد الحكم أبو القاسم ؛ المؤرخ المصرى ابن الفقيه عبدالله صاحب سيرة عمر بن عبد العزيز . توفى سنة ٢٥٧ :الأعلام ٤ : ٨٦

(٢) فى الأصول : « قال » وصوابه من فتوح مصر .

(٣) فتوح مصر ٢

فاستوصُوا بأهلها خيراً ، فإنَّ لهم ذمةً ورَحِماً ؛ فإذا رأيتَ رَجُلَيْنِ يقتتلان على موضع لَبِنة ، فاخرُج منها . قال : فمرّ ابو ذرّ بربيعة وعبد الرحمن بن شرحبيل بن حسنة وهما يتنازعان فى موضع لَبِنة ، فخرج منها[1] .

وأخرج ابنُ عبد الحكم من طريق بَحِير بن ذَاخِر المَعَافرىّ ، عن عمرو بن العاص ، عن عمر بن الخطاب ، أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إنَّ الله سَيَفْتح عليكم بعدى مصر ، فاستوصُوا بِقِبْطها خيراً ؛ فإن لَكُمْ منهم صهراً وذمّةً »[2] .

وأخرج الطَّبَرانىّ فى الكبير ، وأبو نُعيم فى دلائل النّبوّة ؛ بسند صحيح ، عن أمّ سلمة ، أنّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلم أوصى عند وفاتِهِ ، فقال : « الله الله فى قِبْط مصر ؛ فإنّكم ستظهرُون عليهم ، ويكونون لكم عُدّة وأعوانا فى سبيل الله »[3] .

وأخرج أبو يَعْلَى فى مسنَدِه ، وابن عبد الحكم بسندٍ صحيح ؛ من طريق ابن هانئ الخَوْلانىّ ، عن أبى عبد الرحمن الحُبُلِىّ وعمرو بن حريث وغيرهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ستقدَمون على قومٍ جُعْد رُءوسُهم ، فاستوصُوا بهم خيراً ؛ فإنّهم قوّة لكم ، وبلاغٌ إلى عدوّكم بإذن الله » ـ يعنى قِبْط مصر[4] .

وأخرج ابنُ عبد الحكم ، من طريق ابن سالم الجَيْشانىّ وسُفيان بن هانئ ، أنّ بعض أصحابِ رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبَره أنه سمع رسول الله صلى الله وسلم يقول : « إنكُمْ ستكونون أجْنَاداً ، وإنّ خيْر أجنادِكم أهل المغرب ؛ فاتّقُوا الله فى القِبْط ، لا تأكلوهم أكل الخَضِر »[5] .

---

(١) فتوح مصر ٢، ٣ وصحيح مسلم ١٩٧٠

(٢) فتوح مصر ٣ (٣) فتوح مصر ٣

(٤) فتوح مصر ٣

(٥) فتوح مصر ٣ ؛ والخضر ؛ هو الذى يتحين طعام الناس حتى يحضره.